سينما

الإساءة إلى سُمعة مصر

أكذوبة الوطنيّات الفارغة

في عرضه بـ«مهرجان الجونة السينمائي»، هوجم «ريش»، للزهيري، واتُّهم بالإساءة إلى سُمعة مصر، ما أثار نقاشاً حول مفهوم الإساءة

نديم جرجوره

لن يستقيم بلدٌ طالما أنّ فنانين وفنانات عرباً يُسيئون إلى سُمعته، بتصرّف أو قول أو سلوك أو عمل. أساساً، تعبير «الإساءة إلى سمعة» مُسيءٌ بحدّ ذاته، واستخدامه أكثر إساءة منه. استقامة بلدٍ تحتاج إلى أدوات وأفعال كثيرة، يُفترض بفنانين وفنانات أنْ يُساهموا فيها، بتصرفٍ وقول وسلوك وعمل، في إطار نقاش ومواجهة وتعرية، بدلاً من ممارسة نقّيض هذا، فيكون النقيض إساءة للبلد وناسه، وللمهنة التي يمارسون. أمّا السؤال، الذي ربما يُفقِد التعليق ضرورته، فكامنٌ في معرفة مدى أهمية فنانين وفنانات، يخطئون بتصرّف وقول وسلوك وعمل، فتكون أفعالهم الفنية (وغير الفنية غالباً) إهانة للفنّ وحيويته ومعناه، لشدّة بهتانه، رغم نجوميةٍ لهم ولهنّ، تخرج قليلاً من بلدهم، لكنّها تعجز عن تخطّي البحر والمحيط إلى العالم، إلا نادراً جداً.

اتّهامٌ جديد بالإساءة إلى سُمعة مصر يسوقه منتفضون على «ريش» (2021)، للمصري عمر الزهيري، لانزعاجهم من تصويره الفقر في بلدهم. تصوير الفقر إهانة للبلد، بينما تفشّي الفقر في البلد، لأسباب كثيرة بعضها مرتبط بسوء إدارة البلد من نظام يحكم البلد ويتحكّم بناسه، ليس إساءة لمصر ولشعب مصر. ثلاثة ممثلين، شريف منير وأحمد رزق وأشرف عبد الباقي، يخرجون من عرض لـ«ريش»، في الدورة الـ5 (14 . 22 أكتوبر/ تشرين الأول 2021) لـ«مهرجان الجونة السينمائي»، لأنّ «وطنيّتهم» تُثير فيهم حماسة الانتفاض عليه، فتصويره الفقر مُهين للبلد، بالنسبة إليهم، بعد عرض دولي أول له في الدورة الـ74 (6 . 17 يوليو/ تموز 2021) لمهرجان «كانّ» السينمائي.

هؤلاء وأمثالهم يظنّون أنّ الغرب ينتظر فيلماً كهذا كي يُدرك أنّ الفقر يعمّ مصر، وهذا يجعلهم وطنيين، يحرصون على سُمعة البلد، من دون اهتمام بحاجات ناسه، وبينهم فقراء كثيرون، أو أنّهم يدّعون حرصاً على البلد بينما حرصهم هذا معنيّ بسلطة يقودها عسكريّ وجماعته ببطشٍ وقتل واضحين. هؤلاء الوطنيون يعتبرون أنّ «ريش» . الفائز بـ«الجائزة الكبرى نشبرسّو» و«جائزة الاتحاد الدولي للنقاد (فيبريسي)» في الدورة نفسها للمهرجان نفسه، يُسيء فعلاً إلى بلد الفراعنة، فيخافون على بلدهم من تصوير واقع يعاني ناس البلد من طغيانه في حياتهم اليومية. هؤلاء يخافون من وضوح الصورة، فيدّعون وطنية زائفة، ويرفضون فناً، أساسه الأول مواجهة السلطات كلّها، وأوّلها سلطة الفن التابع للسلطة الحاكمة. يخافون من نقل الواقع سينمائياً إلى خارج البلد، ويخافون أيضاً من ناس البلد فيتّهمون فيلماً بالإساءة إلى سُمعة البلد، لأنه يقول لناس البلد ما يعرفه ناس البلد ويعيشونه أصلاً.

> تصوير الفقر سينمائياً إساءة، بينما تفشيه واقعياً ليس إساءة

أي غباء هذا؟ أي حماقة وادّعاء وطني وخضوع لحاكم أو خوف منه؟ أي فنّ يمارسه هؤلاء وأمثالهم؟

هناك من يخشى احتفاءً بفيلم في محافل سينمائية غربية، ربما لأنّ الذي يخشى احتفاء كهذا غير معروف في أوساط سينمائية غربية. الممثلون المصريون الثلاثة، كالغالبية الساحقة من العاملين في صناعة السينما المصرية، غير معروفين في غربٍ يصنع سينما، معظمها أهمّ وأرقى وأجمل وأعمق من تلك التي تصنعها هذه الغالبية، في بلدٍ يُسمّى تاريخياً بأنّه «هوليوود العرب». لكنْ، هناك من يُنجزون أفلاماً مصرية، أقلّه في الأعوام الـ25 الأخيرة، يرتقون بها ومعها إلى مصاف إبداع بصري وجمالي ودرامي ووثائقي متفاوت الأهمية، لكنّ المشترك بينها كامنٌ في حيويتها وتجديدها، لغة ومعالجة ومواضيع وتأمّلات وحكايات وأداء واشتغالاتٍ تقنية وفنية. هؤلاء يُحارَبُون عندما يحتفي بهم غربيٌ يريد سينما، رغم أنّ في الغرب من يهتمّ بما تُقدّمه السينما لا بالسينما كفنّ.

تُهمة كهذه جاهزة دائماً. أفلام عدّة، منتمية إلى ما يُعرف بـ«الواقعية المصرية الجديدة» في ثمانينيات القرن الـ20، مثلاً، تُتّهم بالإساءة إلى سُمعة مصر، لأنّ صانعيها يغوصون في أحوالٍ وحالاتٍ مستلّة من واقع يُدركونه ويعيشونه، لكنّ تصويره سينمائياً، وتناوله وقراءته وسرده تفاصيل وتأثيرات، يُثير وطنية مشبوهة في نفوس توّاقة إلى سلطة حاكمة، وخانعة لها، لفراغٍ مُخيف يُقيم فيها.

شريف منير: استعراض خائب لممثل مصريّ (إبراهيم رمضان/ الأناضول)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

حوار أجراه **سعيد المزواري**

عن أفلام فرنسية قديمة وجديدة، مقالات لناجح حسن في كتاب «رحلة في السينما الفرنسيّة». بهذه المناسبة، التقته «العربي الجديد» في هذا الحوار

ناجح حسن

السينما الفرنسية الجديدة حاكت النموذج الهوليوودي

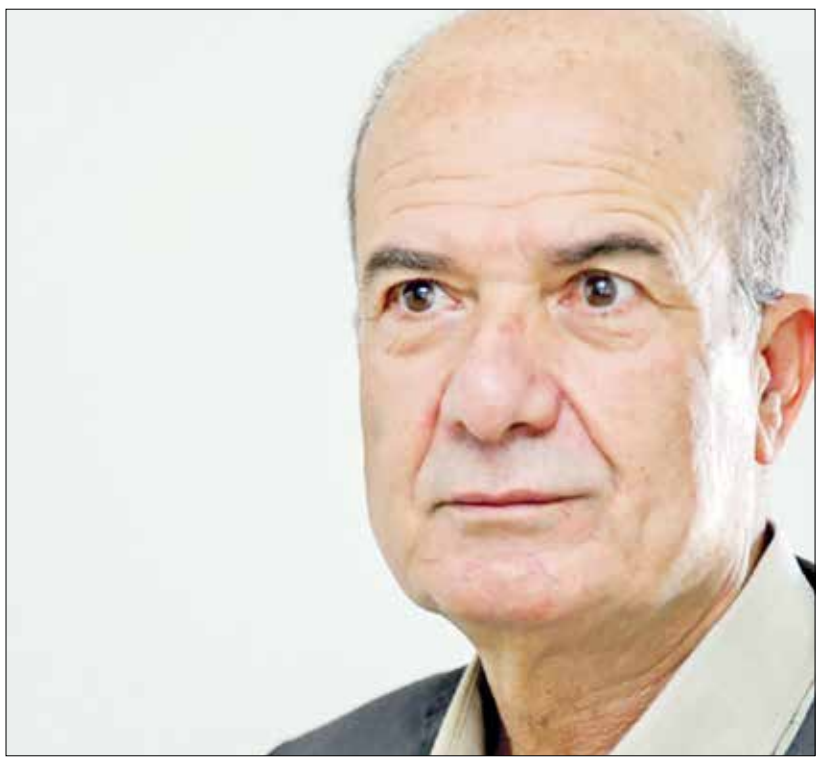

في كتابه النقدي الجديد، «رحلة في السينما الفرنسيّة» (دار خطوط، 2021)، يغوص الناقد السينمائي الأردني ناجح حسن في تركيبة الفيلم الفرنسي، صناعة وتأليفاً وتخييلاً. مقالات ودراسات عن أفلام فرنسية قديمة وحديثة، لكنّ مُنطلقات كاتبها في تشريح الخطاب السينمائيّ تمنح القراءة متعة لا تُقاوم، في تاريخ السينما الفرنسية المعاصرة. يتجنّب المُؤلّف كلاماً عن المدارس والتيارات والأساليب الأكاديميّة، لكنّه يُضمرها ببراعة في المتن النقديّ. طريقة ذكية لتحرير الكتابة النقدية من طابعها الإنشائي، القائم على اجترار النظريات وإسقاطها على أفلام لا تتوفّر فيها شروط الصناعة السينمائيّة. هذا في مقابل وعي المؤلّف لهذا التضخم اللافكري، الذي يعيشه النقد السينمائي العربي، في تدوير وتوليف وترجمة نظريات غربية تُسقَط على الفيلم العربي. عن كتابه الجديد هذا، حاورت «العربي الجديد» ناجح حسن:

■ ما الذي يجعل ناقداً سينمائياً أردنياً يكتب عن السينما الفرنسيّة، بدلاً من الأردنية أو العربيّة؟

أنجزتُ هذا الكتاب انطلاقاً ممّا تُمثّله صناعة الأفلام الفرنسية من بصمة راسخة في مسيرة الفن السابع، بعد تأليفي 6 إصدارات سينمائية عن السينمات في الأردن والدول العربية والعالم. في الإصدار الجديد، رغبت في اقتصار موضوعه على بعض العوالم الرحبة للفيلم الفرنسي، لامتلاكي مخزوناً وافراً من الكتابات عن أفلام وشخصيات في السينما الفرنسية، حصيلة مشاهدات شخصية تابعتها في مهرجانات عربية ودولية، فضلاً عن اختياري عروضاً في المشهد السينمائي الأردني، أتاحت لي الاقتراب منها في فعاليات النادي السينمائي الأردني، ولجنة السينما في «مؤسّسة عبد الحميد شومان»، وعروض «الهيئة الملكية الأردنية للأفلام» و«المعهد الثقافي الفرنسي»، ونشاطات «مهرجان الفيلم العربي الفرنسي» ومهرجاني «الفيلم الفرنسي» و«الفيلم الأوروبي»، المنعقدة سنوياً في عمّان.

■ في «رحلة في السينما الفرنسيّة»، قراءة عاشقة في أفلام سينمائية فرنسية قديمة وحديثة. ما الذي تعنيه لك هذه المقالات، علماً أنّ المرحلة التي يعيشها النقد السينمائي العربي تفترض تأليف كتب ذات بناء مفاهيميّ وصرح معرفي؟

فضّلت اختيار مواضيع وعناوين متنوّعة، تجمع نتاجات السينما الفرنسية القديمة والحديثة، أو أفلاماً أنجزها بعض أبرز مخرجي الموجة الفرنسية الجديدة، إلى أفلام تحاكي السائد في السينما الفرنسية، التي نجحت شبكات العرض والتوزيع العالمية في التقاطها وتسويقها في الصالات المحلية، لما تمثّله من ظواهر نجومية، وما تنهض عليه من مواضيع تاريخية ملحمية آسرة، أو بفعل ما حقّقته من جوائز رفيعة في مهرجانات عالمية، جرّاء ما انطوت عليه من إحالات ودلالات فكرية وجمالية بليغة. هناك أفلامٌ عادية بسيطة تناقش قضايا الفرد وأزماته في العيش اليومي، وتمتلئ بأسئلة هذا الواقع الصعب. معلومٌ ومؤكّد أن السينما الفرنسية طافحةٌ بأشكال وأساليب درامية وإبداعية، وهذا يُصعّب على ناقد يعمل في صحيفة يومية أنْ يغوص فيها أو يُحيط بها، لأنّ هذا يتطلّب دراسات أكاديمية ومنهجية، تنهل من الفلسفة وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا، وتدعمه مؤسسات تُعنى بهذا الحقل الإبداعي.

■ برأيك، ما السبيل إلى تحقيق مشروع نقدي سينمائيّ عربي، في غياب مؤسّسات فنيّة قادرة على دعم النقد السينمائي وجعله في صلب الحياة الثقافية العربية؟

للأسف، نفتقر في البلدان العربية إلى هذا النوع من المؤسّسات المعنية بدراسة فنون الآخرين وإبداعاتهم، خاصة في مجال الفن السابع، رغم وجود جامعات ومراكز دراسات ومعاهد بحث كثيرة، تهتم . قليلاً أصلاً . بدراسة العلوم والفلسفة والفكر والأدب. إلا أنّ السينما غائبة أو مُغيّبة تماماً، وهذا عائد إلى عدم وجود اهتمام جدّي بعالم صناعة الأفلام وتوثيقها، فما بالك بالنقد السينمائي، الذي لا نجده هذه الأيام إلا في زوايا محدودة من هذه الصحيفة أو تلك.

وإذا وُجد، فلا يتعدّى عادة بثّ أخبار نقلاً عن وكالات أنباء إخبارية، عن جائزة ممنوحة إلى هذا الفيلم أو ذاك، في مهرجان ما، أو عن نجم أو نجمة. لك أنْ تنظر ملياً في عشرات المجلات الصادرة عن مؤسّسات عربية. عندها، ستلاحظ كم أنّ النقد السينمائي مظلومٌ ومُغيبٌ عن ثقافتنا العربية.

■ استناداً إلى قراءاتك ودراساتك، أيّ واقع ترسمه للسينما الفرنسية منذ سبعينيات القرن المنصرم؟

عقب نجاحاتها المتتالية في ستينيات القرن الـ 20، بفعل تنامي موجة السينما الجديدة وتنوّع اشتغالاتها، سايرت السينما الفرنسية . في العقود التالية . تيارات السينما السائدة، وحاكت النموذج الهوليوودي، وبالتالي خرجت من حدودها، وقدّمت نتاجات مشتركة مع السينما الأوروبية، ثم اتّجهت إلى بلدان ناطقة باللغة الفرنسية، وتحديداً في آسيا وأفريقيا، وأتاحت فرصاً كثيرة لعشّاق السينما هناك للعمل وراء الكاميرا، فقدّموا قصصاً عدّة عن أعوام ما قبل وما بعد التحرّر والانعتاق.

بالتالي، غدت السينما الفرنسية من بين أكثر سينمات العالم وفرة في الإنتاج وتنوّع المواضيع، والقدرة على النفاذ إلى أسواق توزيعية جديدة.

■ ماذا عن الفيلموغرافيا الفرنسية الجديدة: هل هناك إبدالات مفاهيمية وخصائص جماليّة شهدتها في الأعوام القليلة الماضية، بحكم تغيير المركزية الهوليوودية وارتباك أفلامها، ما يجعل مركز الإنتاج السينمائي يتحوّل إلى بلدان أخرى، منها فرنسا؟

في الأعوام الأخيرة، تابعت قدرة صنّاع السينما الفرنسية وبراعتهم في خوض غمار مواضيع جريئة، تتناول دواخل النفس البشرية، وتحوّلات عصيبة عاشتها مناطق ساخنة كثيرة. ثم اتّجهت الى الغوص في ملاحم وأسفار أدبية، قدّمتها بتلاوين إبداعية متميزة، نافست فيها الصناعة الهوليوودية، مع اتّجاه بعض صنّاعها إلى العمل في أفلام الترفيه والمغامرات والكوميديا والتشويق والحركة والخيال العلمي، التي نافست فيها نتاجات استوديوهات هوليوود، ومنحتها رونقاً خاصاً ومميّزاً، تعزّزت فيها مكانة الفيلم الفرنسي في دنيا الأطياف والأحلام. هذا ثبت في تلك المعطيات والاحصائيات التي أوضحت أسباب زيادة أعداد مشاهدي الفيلم الفرنسي. لكنْ، هناك نقّاد يتمنّون ألا تطغى هذه الأعداد المتزايدة من أفلام السينما الفرنسية على تلك الأعمال المدهشة، التي لا تزال عالقة في ذاكرة عشاق السينما، وظلت موضع افتتان كثيرين من مؤرّخي ونقّاد ومنشّطي نوادي السينما وأصحاب الشغف، بعروض الفن والتجربة.

■ شهدَتْ السينما الفرنسيّة الجديدة ارتباكاً كبيراً على مستوى صناعتها، بحيث إنّ المُشاهد يدهش من سذاجة بعض الأفلام، نظراً إلى أنماط وصور هذه السينما، وتاريخها المُشرق، إلى حدود الموجة الجديدة.

أعتقد أنّ الثورة التكنولوجية التي عرفتها السينما، وأدّت إلى ازدياد عدد صنّاع الأفلام وتعدّد وتنوّع الأعمال السينمائية، روائية ووثائقية وتجريبية ومتفاوتة الطول، ساهمت (الثورة المذكورة) في تغليب نماذج من السينما السائدة على تلك الإنجازات الشاعرية والحالمة بالتغيير. لكنْ، لا يزال هناك بصيص أمل وتفاؤل في القدرات الشابّة الجديدة، التي أخذت على عاتقها تطوير أفكار جديدة ومهمومة بالاشتغال على منظور غير مألوف في تناول وصوغ مفردات لغة سينمائية، تتناغم مع إيقاعات مُبتكرة، بغية إثراء وتفعيل ما قدّمته السينما الفرنسية في موجاتها المتتالية، عبر أكثر من حقبة.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

سيرة

له كتبٌ عديدة، تندرج في قراءات مختلفة لأحوال السينما العربية والغربية، ومتابعة أفلام وقضايا، ومراجعة مسارات وتاريخ وتفاصيل. عضو النادي السينمائي الأردني بين عامي 1983 و1990، انتسب حسن إلى لجنة السينما في «مؤسّسة عبد الحميد شومان» أعواماً طويلة. من كتبه: «السينما والثقافة السينمائية في الأردن» (1991) و«شاشات العتمة شاشات النور، كتابة في افلام اردنية قصيرة» (2000)